ما وشيء آخر»[1] مستنتجاً من قول بنفنيست ما حاول دائماً البرهنة عليه، وهو أنه خارج النطاق البيولوجي، تعتبر القدرة الرمزية القدرة الذاتية الاكبر عند الانسان، وعندها نتصور أن فلسفة اللغة تستطيع أن تتصدى لدراسة مرامي اللغة التي تصوّر الواقع[2].

وعليه، فان ريكور يدافع عن فكرة أن فلسفة اللغة تحلل العلاقة بين اللغة والواقع، على عكس الاتجاه التأويلي والبنيوي والوضعي، وبذلك يمثل طريقة جديدة في الخروج من المنعطف اللغوي كما شكلته تلك التيارات اللغوية في الفلسفة المعاصرة.

ينبّه ريكور، في اكثر من موضع، إلى انه يناقش مشكلة اللغة بمصطلحات حديثة وكما انتهت اليها نتائج علم اللغة الحديث أو الالسنية، محدداً اللغة بأنها «لا تعني القدرة على التحدث، ولا الكفاءة المشتركة على التكلم. بل هي تشير إلى البنية الخاصة للنسق اللغوي الخاص»[3]. وبذلك يستعيد الاصطلاح اللساني، ويناقشها من خلال التطور اللساني المعاصر. منتهياً إلى أن البنيوية لم تعد تعامل اللغة «بوصفها صورة عيانية - كما يعبر فتجنشتاين - بل صارت نظاماً مكتفياً بذاته ذا علاقات داخلية فقط. وعند هذه النقطة بالضبط تختفي وظيفة اللغة بوصفها خطاباً»[4]. وبعد مناقشة موسعة للسانيات البنيوية وتطبيقاتها الانتربولوجية عند كلود ليفي - ستروس، ينتهي إلى اقرار موقفه، وهو أن اللغة لا يمكن ان تستغني عن المسند، معتمداً في ذلك، كما اسلفنا، على نظريات بنفنيست وياكوبسن في اللسانيات وعلى نظرية فريجه في المنطق.

يحدد ريكور اللغة بوصفها خطاباً له «بنية خاصة به، ليست هي بنية التحليل البنوي، أي بنية الوحدات المنفصلة المعزولة عن بعضها، بل بنية التحليل التأليفي، أي التواشج والتفاعل بين وظيفتي التحديد والاسناد في الجملة الواحدة»[5]. وبالاعتماد على نظرية افعال الخطاب عند أوستين وسيرل وعلى تحليلات ستراوسن، ينتهي إلى القول بأن «اللغة لا تكتسب الإحالة الا حين تُستعمل... فلا وجود لعلامة داخلية، مستقلة عن استعمال الجملة، تُشكّل معياراً يمكن الاطمئنان اليه عن دلالة المطابقة مع الخارج.

---

(1) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3) بول ريكور، **نظرية التأويل. الخطاب وفائض المعنى**، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣، ص ٢٥.

(4) المرجع نفسه، ص ٣٠.

## ثالثاً ـ من فلسفة اللغة إلى التأويل

لا يمكن مناقشة مختلف القضايا المتصلة باللغة والتأويل عند ريكور في هذا الفصل، وذلك نظراً لتنوعها وتشابكها. كما لا يمكن معالجة مختلف عناصر نظرية اللغة، لارتباطها بالنص والخطاب، والكتابة والقراءة، وبحوثه الأخيرة في الاستعارة والسرد. فيكفي النظر مثلاً إلى عناصر نظرية النص وانجاز الكلام كخطاب، وإلى الخطاب كأثر ادبي، وعلاقة الكلام بالكتابة، حتى نعرف حجم المشكلات التي يجب علينا مواجهتها. لذلك سنعمل على تجلية مفهومه للغة والتأويل بوصفهما إمكانية للخروج من النموذج اللغوي الذي كرسته الفلسفة اللغوية التأويلية.

### ١ ـ في اللغة:

كما مرّ معنا، بدأ بول ريكور، في الستينات من القرن العشرين، يهتم بمسائل اللغة وفلسفة اللغة، من خلال مشاركته في النقاش الواسع حول البنيوية والنموذج اللغوي، وكذلك في مختلف الدراسات التي خصها لهذا الموضوع، حيث يرى على سبيل المثال في دراسته «فلسفة اللغة» المنشورة في **الموسوعة الفلسفية**، أن «اللغة لا تحتل مرتبة الشرف في الفلسفة، لفرط الإيمان بأن فهم الانسان لذاته ولعالمه يرتكز على اللغة التي تعبّر عن هذا الفهم»[١]. ان هذا التأكيد ينفي كل الأحكام المتعلقة بوضعية اللغة في تاريخ الفلسفة، وأن الفلسفة طوال تاريخها اهتمت باللغة، وهو ما حاولنا أن نظهره في الجزء الأول من هذا الكتاب.

كما انتقد في هذه الدراسة، انصار الفلسفة اللغوية الذين لا ينظرون إلى ما هو خارج اللغة، مؤكداً على علاقة اللغة بالواقع، وأن وظيفة اللغة دائماً هي أن تحيل أو تسند اللغة إلى مطلق شيء آخر غير ذاتها؛ تلك هي وظيفتها الاساس. هذه المسألة الضخمة هي المسألة التي يمكن وضعها تحت عنوان: السند أو المرجع»[٢].

وقال إن انغلاق الفلسفة اللغوية في حدود اللغة قد أقصى من اللغة وظيفتها الأولى، وهي «الترميز»، مستنداً في ذلك على ابحاث الالسني اميل بنفنيست الذي أكد على أن اللغة «تمثل الشكل الاعلى لملكة كامنة في الجنس البشري وهي ملكة الترميز» على أن نفهم من هذا، بشكل واسع، «القدرة على تصوير الواقع بإشارة، ومن ثم فهم الاشارة على انها تمثل الواقع وبالتالي اقامة علاقة "تدليل" أو "علاقة معنى"».